الحافظ ضياء الدين المقدسي في عيون تلاميذه

Diya Al-Din Al-Maqdisi From the Perspective of His Students

د. غسّان عيسى هرماس
أستاذ مشارك/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين

Dr. Ghassan Issa Hermas
Associate prof./ Al - Quds Open University/ Palestine
Ghermas@qou. edu

تاريخ الاستلام: 9/ 6/ 2019م، **تاريخ القبول:** 24/ 8/ 2019م.
E- ISSN: 2410 - 3349
P- ISSN: 2313 - 7592

Received: 9/ 6/ 2019, **Accepted:** 24/ 8/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3547517
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

ملخص:

يتناول هذا البحث جانبًا من جوانب العظمة لعالم فَذٍّ من علماء فلسطين هو الحافظ ضياء الدين محمد بن عبدً الواحد الجماعيلي المقدسي المتوفى سنة 643هـ، وهو بعنوان (الحافظ ضياء الدين المقدسي في عيون تلاميذه).

والبحث محاولة للتعريف بأحد أعلام فلسطين وأعيانها، من خلال أقول تلاميذه فيه وحديثهم عنه، وكلهم عالمٌ نِحْرِيرٌ، ولأقوالهم وشهاداتهم اعتبار واحترام عند أهل العلم والحديث، وهو دَيْنٌ في ذِمَّة الأبناء للآباء، والخلف مع السلَف، والأواخِر مع الأوائل، بالاعتراف بفضلهم، والوفاء بعهدهم، والشكرِ لهم.

وقد جعلته في مبحثين هما:

المبحث الأول: حياتُه، وفيه: (اسمه ونسبه، مولده وموطنه، أسرته، نشأته وطلبه العلم، رحلاته، شيوخه وإجازاته، مناقبه، وفاته، ومنزلته العلمية وثناء العلماء عليه، مؤلفاته).

المبحث الثاني: أشهر تلاميذ الحافظ ضياء الدين المقدسي، ومدى تأثرهم به، وشهاداتهم فيه.

وأنهيته بخاتمة ضمنتها أهم نتائج البحث وبعض التوصيات، وقد التزمت فيه المنهج الكيفي لملاءمته.

الكلمات المفتاحية: الحافظ ضياء الدين، عيون، تلاميذ.

Abstract

This research tackles one of the most prominent Palestinian scholars, Diya al - Din al - Maqdisi, 569–643 AH.

The research seeks to introduce Diya al - Din al - Maqdisi, as depicted in the statements and narrations of his students. These students, who are the greatest of scholars, possess value and importance among their peers. Therefore, it is important to accredit them and recognize their contributions.

The research is divided into two parts.

First part is an account of Diya al - Din al - Maqdisi's life, including his name, lineage, birth, hometown, family, origins, knowledge, journeys, teachers, virtues, death, scientific position as well as his value among scholars and in writings.

The second part discusses his most reputable students, demonstrating his influence on them and their testimonials.

The conclusion includes the main results of research and a number of recommendations.

***Keywords**: Diya al - Din al - Maqdisi, Perspective, Students.*

مقدمة:

يَنْتَسِبُ النَّاسُ إلى آبائهم وعائلاتهم، وقد يَنْتسبون إلى بُلدانهم، فيقال: البُخاريُّ، والدِّمشقيُّ، والبَغْداديُّ، إلى غير ذلك من النِّسَب التي يَتَخَيَّرُها الإنسان تارةً، أو تُفْرَضُ عليه تارةً أخرى، غير أنَّ الانتساب إلى بيتِ المقدس انتسابُ تَشَرُّفٍ وارتقاء واعتزاز، وكذا الانتساب إلى مكةَ والمدينة، – زادها الله جميعًا شرفًا ورفعةً – .

وعَبْرَ تاريخنا الإسلاميِّ وجَدْتُ كثيرًا من الفلسطينيين ينتسبون إلى بيتِ المقدس انتسابًا يطلبون به الشَّرَفَ والقُرب من الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، وأحسب أنَّها نسبةٌ يُحبها أهل فلسطين، لأنها تربطهم بالمَسرى، وهو جزءٌ من عقيدة المسلمين وإيمانهم.

وممن انتسب لبيت المقدس، وحملَ التاريخُ أسماءهم، وحفظ أمجادهم وعلومهم، أسرة آل قدامةَ الجَمَّاعِيْليِّ المَقْدسيِّ.

وجَمَّاعيل أو قل جماعين – كما يسمونها اليوم – وكلا الاسمين جائز ومشهور، قرية من قرى نابلس، وتبعد عن بيت المقدس 40 كم (انظر الحموي، 1995: 2/ 159)، ولنابلسَ وقُرَاها في القلب هوىً وغرام، وإجلالٌ وتقديرٌ وإعْظام، لا لأنَّها جزءٌ من فلسطين الحبيبة فحسب، بل لأنَّها في التَّاريخ تاريخٌ، وحضارةٌ، وإمامةٌ، وجِهادٌ، وشموخٌ، فكمْ من نَبِيٍّ مرَّ بها، وكم من قائدٍ تمكَّن منها، وكم من عالمٍ حَطَّ رِحاله فيها.

تلك من أخبار العابرين، وحكايات المسافرين الراحلين، أما أهل البلد، فحدِّثْ عنهم ولا حَرَج، فأولئك أعيانُ النَّاس، وتاجُ الأُمَّة، وخيرُ بَنِي الزَّمان، فيهم العلماءُ، والأعيان، والمجاهدون، والمُرابطون، والعابدون، وفيهم من جمع ذلك كله.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في عدم معرفة كثيرين لشخصية الحافظ الضياء، بل وبقية أفراد أسرة المقادسة تلك، وهذا بين حتى عند أكثر المثقفين من أهل فلسطين.

وواجبٌ على كلِّ من أراد الكتابة عن تاريخ نابُلْسَ أنْ يَمُرَّ على ذِكْرِ تلك الأُسْرة الكريمة التي نَسَبَتْ نفسها إلى بيتِ المقدس يوم حَطَّتْ رِحالَها سنة 551هـ في مسجد أبي صالح بدمشق، أولئك المقادسة الذي حَفِظوا على المسلمين أمور دينهم أكثر من ثلاثة قرون، فكان منهم الفقيه، والمحدث، والمربي، والإمام القدوة، والمجاهد، وغيرهم كثير، يفنى العمر قبل الفراغ من ذكرهم.

أهداف البحث:

لعل أبرز ما دعاني للكتابة في هذا الموضوع أنَّ التقصير في الكتابة عن بيت المقدس ونابلس وفلسطين حاصلٌ وكثير، ولذلك رأيتُ أنَّ أكتب عن أحد علمائها الحفاظ الذين أبدعوا فيما كتبوا، وكانت لهم جهودٌ عظيمةٌ في مجالات التربية، والتعليم، والتأليف، وهو الحافظ الفَذُّ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد الجَمَّاعِيْلي المقدسي المتوفى سنة 643هـ.

الدراسات السابقة:

لم أجد من كتب عن هذه القامة السامقة من هذا الجانب، نعم، لقد كتبوا عن حياته، وترجموا لمسيرته العلمية، وأثنوا عليه، وذكروا أقوال أقرانه وتلاميذه فيه، وهو ما سأتناوله بإيجاز في المبحث الأول، لكني رأيت أن أتناول شخصيته من الجانب التأثيري التربوي

في نفوس تلاميذه وعقولهم وقلوبهم من خلال دراستهم الحديث على يديه، الأمر الذي مكنه من إيجاد نخبة من العلماء المُحَدِّثين الذين تَرَبُّوا عليه، وأخذوا عنه العلم والعمل، وهو ما أعوز كثيرًا من العلماء والدعاة اليوم في مسيرتهم العلمية والدعوية.

نعم، إن التربية عملية جماعية لا ينفرد بها فرد واحد، بل إنَّ جهود الجماعة الكثيرة المتكاتفة المتوافقة من أسرة وشيوخ ومجتمع، تشكل الشخصية المؤثرة المبدعة.

وقد وجدت فيما بثَّهُ السابقون وسطَّرَتْهُ أقلامهم في مصنفاتهم، ما يرسم صورة بهية المعالم عنه، لذا رأيت أن أسلط الضوء على هذا الجانب المشرق من حياته، ليكون نبراسًا ومشعل هداية وتوجيه ورشاد للسالكين درب صناعة الرجال العلماء، وقد مَهَرْتُه بعنوان (الحافظ ضياء المقدسي في عيون تلاميذه).

منهج البحث:

اتبعت في بحثي هذا المنهج الكيفي لملاءمته هذا النوع من الدراسات.

خطة البحث: وقد جعلت دراستي هذه في مبحثين:

المبحث الأول: حياة الحافظ ضياء الدين المقدسي، وفيه: ستة مطالب: المطلب الأول: اسمه ونسبه، ومولده وموطنه. المطلب الثاني: أسرته. المطلب الثالث: نشأته وطلبه العلم، ورحلاته. المطلب الرابع: شيوخه وإجازاته. المطلب الخامس: مناقبه، ومنزلته العلمية وثناء العلماء عليه، ووفاته. المطلب السادس: مؤلفاته).

المبحث الثاني: أشهر تلاميذ الحافظ ضياء الدين المقدسي، ومدى تأثرهم به، وشهاداتهم فيه، ويشتمل على خمسة مطالب: : المطلب الأول: الإمام الحافظ ابن النجار. المطلب الثاني: المحدث البارع ابن الحاجب. المطلب الثالث: المحدّثُ الشَّابُّ ابن سلاَّم. المطلب الرابع: قاضي القضاة سليمان بن حمزة. المطلب الخامس: وفيه جملة مختصرة من الأقوال في الثناء على الحافظ الضياء .

وأنهيته بخاتمة ضمنتها أهم نتائج البحث وبعض التوصيات.

الإجراءات المنهجية:

لتحقيق أهداف الدراسة وغايتها كان لا بد من التزام مجموعة من الآليات وهي:

- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من كتاب الله تعالى.
- عَزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها الأصلية مع بيان الحكم عليها، إلا ما كان في الصحيحين أو أحدهما فاكتفيت بالعَزْوِ إليهما قانعًا بتلقي الأمة لهما بالقبول.
- رَد النصوص الواردة في البحث إلى الكُتُب التي ذَكَرَتْها، مقدمًا الأسبق زمانًا.
- تحدثت في المبحث الأول عن حياة الحافظ الضياء العامة باقتضاب طلبًا للاختصار، وموافقة لشروط البحث، فاكتفيت – مثلاً – بذكر خمسة من شيوخه مع أنهم يزيدون على خمسمائة.
- لم أورد في المبحث الثاني من تلاميذه إلا من كان له قول مباشر في شيخه الضياء، للزوم التعليق وبيان رأيه فيه.
- لم أتعرض لأقوال العلماء الذين أثنوا على الضياء ولم يَلْقَوه، لعدم اندراجهم في تلاميذه.
- لم أتوسع في الترجمة لتلاميذه الذين أوردت أقوالهم، واكتفيت بالإشارة الخاطفة إلى علمهم وتقدمهم، كي لا يخرج البحث عن حده.
- لم أترجم للأعلام والمواقع إلا حيث لزم الأمر، واقتصرت على توثيق كل ترجمة من مرجعين أو ثلاثة ولم أزد على ذلك، لئلا تَثْقُل الهوامش.

هذا ما رأيت وضعه في بحثي، سعيًا لبيان فضل هذا العالم وأَضْرَابِه مِنَ المَقادِسَة الذين طَوَّقُوا جِيْدَ الزَّمان بِنَتَاجِهِم الجَلِيل، وبَذْلِهم العَظِيم. سائلا الله القبول والرِّضا.

والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

حيـــاة الحافظ ضياء الدين المقدسي

تَنْقضي أعمارُ كثيرٍ من النَّاس دون أثر يُذْكر، ولا قَولٍ يُؤْثَر، كأنَّهم لم يكونوا يومًا منْ سكان الأرض أو عُمَّار الدنيا. ومنهم مَنْ يَنْقُشُ اسمه في صفحات الوجود، ويترك رَسْمَهُ على جِدار الحياة، فلا يَنْمَحي ذِكْرُهُ حتى تَنْمَحي هذي الحياة، ومن هذا الصنف الأخير كان الحافظ الضياء. وسأتحدث عن حياته في ستة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده، وموطنه:

أما اسمه ونسبه: فهو الإمام، الحافظ، الحجة، ضياء الدين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدي، المَقدسي، الجَمَّاعيلي، ثم الدِمشقي، الصَّالِحي، الحنبلي.

وأما مولده وموطنه: فقَدَّمتُ القول بأنَّ قومَه ارتحلوا عام 551هـ منْ قرية جَمَّاعيل قضاء نَابُلْسَ في فلسطين، ونزلوا سَفْحَ جبل قَاسْيُون في دمشق، وبَنُوا الصالحية، وهناك وُلِدَ ضياء الدين في اليوم السادس من جمادي الآخرة، سنة تسع وستين وخمسمائة للهجرة، بالدَّيْر المُبارك بقَاسيُون. (انظر الذهبي، 1998م: 4/ 133، وابن شاكر، 1973 – 1974م: 3/ 426).

المطلب الثاني: أسرته:

ينتسب الحافظ ضياء الدين إلى أسرة (المَقْدِسيِّ) المعروفة بين الأُسَر بالعلم وكثرة التَّحصيل، يدل على ذلك كثرة الحفاظ والفقهاء المنتسبين إليها، والذين كان لهم أثرٌ عظيمٌ في الحفاظ على سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى رأسهم الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ت600 هـ، (انظر ترجمته في: ابن نقطة، 1988 م: 370، والذهبي، 1985م: 21/ 443، واليافعي، 1997م: 3/ 387)، والشيخ الفقيه الموفق عبد الله بن أحمد بن قُدَامَةَ المقدسيّ ت 620هـ، (انظر ترجمته في: ابن نقطة، 1988م: 330، والمنذري، 1984م: 3/ 107، والذهبي، 1985م: 22/ 165)، وغيرهما كثير.

ومن المعلوم أنَّ هذه الأُسرة كانت تسكن قريةَ جَمَّاعيل، وبعض القرى المجاورة لها من أعمال نابلس في فلسطين، إلا أنَّهم تركوها وارتحلوا إلى دمشق بسبب اعتداءات الفرنجة المتكررة واستيلائهم على الأرض المقدسة، شأنهم في الهجرة شأن كثير من

أهل تلك البلاد.

وقد أورد ابن رجب خَبَرَ هذه الرحلة في ترجمة الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قُدَامة المقدسيِّ ت 607هـ (انظر خبر هذه الرحلة في: ابن رجب الحنبلي، 2005م: 1/ 160. وانظر ترجمة الشيخ أبي عمر في: ضياء الدين المقدسي، محمد بن عبدالواحد، 1997م: 1 – 96، والمنذري، 1984م: 2/ 202، والذهبي، 1985م: 22/ 5).

والمتتبع لأخبار أسرة الحافظ الضياء يُدهش وهو يُقَلِّبُ صفحات حياة أفرادها، فهي من الأسر الفريدة العجيبة في التاريخ، التي توارث فيها الأحفاد العلمَ عن الأجداد بصورة تكاد تكون متكررةً في كثيرٍ من أفراد هذه الأسرة. وهو ما يظهر لنا جليًا في الحافظ الضياء الذي ورث العلم من جهتي أبيه وأمه، وإن كان من جهة الأم أكثر وأبين.

فمن جهة أمه على سبيل المثال لا الحصر:

- جده الأعلى لأمه قُدَامَةُ بنُ مِقْدَام بن نصر بن عبد الله المقدسي، ولم أقف له على ترجمة، إلا أنه كان من أهل العلم، وممن لقي أبا الفرج عبد الواحد بن محمد الشِّيرازي الحنبلي ت 486هـ، وأخذ عنه (انظر ترجمته في: ابن رجب الحنبلي، 2005م: 1/ 160، 164). وأبو الفرج هذا هو أول من أدخل المذهب الحنبلي إلى فلسطين وبيت المقدس – وهو ما مال إليه د. أبو زيد (أبو زيد، 1417هـ: 1/ 503) وتبعه عليه الأستاذ يوسف الأوزبكي (الأوزبكي، 2010م: 95، 13)، وعنه أخذ المقادسة المذهب ونشروه.

وكان قُدامة قد أتاه لَمَّا قَدِمَ القُدس فسأله أنْ يرزقه الله حفظ القرآن، فدعا له بذلك، فحفظ قُدامة القرآن. فكان الشيخ الموفق ابن قُدامة إذا ذكر هذه الحكاية يقول: وانتشر الخير منهم ببركات دعوة الشيخ أبي الفرج، وكان يقول أيضًا: «كلنا في بركات الشيخ أبي الفرج». (ابن رجب الحنبلي، 2005م: 1/ 160).

- وجَدُّ أُمِّه المباشرُ أحمدُ بن محمد بن قُدامة ت 558هـ، (انظر ترجمته في: الذهبي، 1993م: 38/ 246، والصفدي، 2000م: 8/ 55، وابن مفلح، 1990م: 1/ 172)، وكان قد ارتحل في طلب العلم، ثم عاد إلى بَلَده جَمَّاعيل، وأقرأ النَّاس القرآن والعلم، وكان خطيبًا مُفوهًا، فاجتمع عليه أهل بلده والقرى المجاورة، الأمر الذي حمل الحاكمَ الصَّليبيَّ في نَابُلسَ على التفكير في قَتْله، فَفَرَّ بدينه وأهله إلى دمشق، فكانَ أول المهاجرين المقادسة إلى دمشق، والمؤسسَ للصَّالحية، وسيِّدَ القوم وإمامَهم (انظر ابن طولون، 1980م: 1/ 67 – 69).

- وخالاه الإمام الزاهد أبو عمر محمد بن أحمد المقدسي ت 607هـ، والموفق عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي ت620هـ.

- وخالته رابعة بنت أحمد بن محمد المقدسية ت 620هـ، زوجة الحافظ عبد الغني. (المنذري، 1984م: 3/ 109 – 110، والذهبي، 1993م: 44/ 479).

- وأما من جهة أبيه:

- فوالده عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي ت 590هـ، (الذهبي، 1993م: 41/ 382 – 383).

- وأخوه الأكبر الحافظ شمس الدين أبو العباس أحمد بن عبد الواحد المقدسي، ويعرف بـ (البخاري) لدخوله بخارى وسماعه فيها، ت 623هـ (انظر ترجمته في الذهبي، 1993م: 45/ 143، وابن رجب الحنبلي، 2005م: 3/ 353 – 359).

- وأخوه الآخر عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي ت 612هـ (انظر ترجمته في الذهبي، 1993م: 44/ 106).

- وأختاه آسية بنت عبد الواحد ت 640هـ (انظر ترجمتها في الذهبي، 1993م: 46/ 431، والذهبي، 1984م: 5/ 164)، وزينب بنت عبد الواحد المتوفاة بعد سنة 624هـ (الحافظ، 1999م: 35).

وكل هذه الأسماء كان لأصحابها نصيبٌ وافر من العلم الشَّرعي – على تفاوت بينهم – خاصة في الحديث والفقه، وكلهم رَوى وَرُوِي عنه.

وقد تركت ذكر كثير من أعلام هذه الأسرة من الأعمام والأخوال والأقرباء وأبنائهم، وأبناء أبنائهم، مخافة السآمة.

المطلب الثالث: نشأته وطلبه العلم، ورحلاته:

في هذه الأسرة نشأ وفي أحضانها ترعرع، ومن علمائها أَخَذ، وكان أول شيوخه، مُحَدِّثُ عصره، الحافظ عبد الغني المقدسي، الذي» لزمه ولم يتركه حتى تَخَرَّجَ به، وبَرَعَ في هذا الشأن. » (الذهبي، 1985م: 23/ 127).

ثم تنقل بين علماء الشام، وأخذ عنهم، ولم تقنع نفسه الكبيرة بما نال من علم، وحَصَّلَ من معرفة، فارتحل إلى بلاد غير بلاده، وأهل غير أهله، وكان لا يكاد يسمع بعالم من علماء عصره إلا ارتحل إليه وأخذ عنه، وقد بقي في رحلاته عدّةَ سنين، عاد منها بكثير من الأصول النفيسة، التي ساقها الله إليه هبة، وشراءً، ونسخًا. حتى قيل « إنه كتب عن أزيد من خمسمائة شيخ. « (ابن رجب الحنبلي، 2005م: 3/ 516، النعيمي، 1981م: 2/ 95).

وأما رحلاتــه: ارتحل الحافظ الضياء رحلتين طويلتين استغرقت كل واحدة منهما خمس سنوات، أما الأولى: فبدأها بدخول مصر سنة 595هـ، ثم بغداد، مدينة العلم والعلماء، ودار الخلافة آنذاك، ثم أصبهان. ولم يَعُدْ إلى دمشقَ من رحلته هذه إلا بعد الستمائة.

وأما رحلته الثانية، فبدأها من حيث انتهى في رحلته الأولى، فقد كرَّ راجعًا إلى أصبهان، فأكثر بها وتزيّد وحصل شيئًا كثيرًا. ثم ارتحل إلى نيسابور، فَهَرَاةَ، فمَرْو التي أقام فيها نحو سنتين وأكثر. كما سمع بحلب وحَرَّان والمَوْصل. ثم رجع إلى دمشقَ بعد خمسة أعوام بعِلْمٍ كثيرٍ، وأصولٍ نفيسةٍ، فتح الله عليه بها.

أضف إلى ذلك رحلته إلى مكة حاجًّا وسماعه من علمائها والواردين عليها، كما أتى بيت المقدس بعد الفتح عدة مرات، وسمع فيها من علمائها.

ولما استقر به المقام في دمشق لَزِمَ الاشتغال، والنَّسْخ، والتصنيف، وسمع في أثناء ذلك من خاله الشيخ الموفق وغيره، ولم يتوقف عن السماع حتى بعد أن كَبُرَ، وطار اسمه في البلاد، وصار المشار إليه، وأقبل عليه طلاب العلم من أصقاع الأرض، وبقي على حاله هذه حتى أتاه أمر الله.

المطلب الرابع شيوخه وإجازاته:

قَدَّمْتُ القولَ بأنَّه سمع من أكثر من خمسمائة شيخ وشيخة، وقد ذكرت له الدكتورة حسناء بكري خمسمائة وثمانيةً وأربعين شيخًا (انظر قائمة أسمائهم في: نجار، 1420م: 422 – 440)، ولكثيرٍ منهم تأثير في شخصيته وبنائه الفكري والسُّلُوكي، وقد ذكرت بعضهم في معرض الحديث عن حياته كخاله الفقيه الموفق عبدالله ابن أحمد بن قدامة المقدسي، والحافظ عبد الغني المقدسي، وسأكتفي هنا بذكر خمسة آخرين من أعيان مشايخه، مراعاة لشروط البحث:

– الشيخ عماد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي المقدسي، ت 614هـ (انظر ترجمته في: الذهبي، 1993م: 44/ 182، والذهبي، 1985م: 22/ 47، الصفدي، 2000م: 6/ 33)، وهو الذي قال للضياء لمَّا

عَزَمَ على الرِّحلة في طلب العلم: « أَكْثِرْ مِنْ قراءة القرآن، ولا تتركه، فإنَّه يتيسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ. قال الضِّياء: فرأيت ذلك وجرَّبْتُه كثيرًا، فكنت إذا قرأتُ كثيرًا تَيَسَّرَ لي من سماع الحديث وكتابته الكثير، وإذا لم أقرأْ لم يَتَيَسَّرْ لي. » (ابن رجب الحنبلي، 2000م: 3/ 205).

– زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نَجَا الدمشقي، الفقيه، الحنبلي، الواعظ، المفسر، المعروف (بابن نَجيَّة)، ت 599هـ (انظر ترجمته في: الذهبي، 1985م: 21/ 393، والسيوطي، 1967م: 1/ 551).

– الشيخ الصالح أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الصَّيْدلاني الأَصْبَهاني، ت603هـ (المنذري، 1984م: 2/ 121 – 122، والذهبي، 1985م: 21/ 439).

– الإمام الحافظ العلامة جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن علي القرشي الحنبلي المعروف بابن الجَوْزي، ت 597هـ (انظر ترجمته في: ابن خَلِّكان، 1994م: 3/ 140، والذهبي/ 1985م: 21/ 365).

– الفقيه الإمام أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، العُكْبَري البغدادي، ت616هـ، (انظر ترجمته في: ابن خلكان، 1994م: 3/ 100، والقفطي، 1424هـ: 2/ 116، والسيوطي، د. ت: 2/ 38).

إجازاته: والإجازة في الاصطلاح هي: « الإذن في الرواية لفظًا أو كَتْبًا، وتفيد الإخبار الإجمالي عُرْفًا. » (السخاوي، 2003م: 2/ 219). والصحيح عند الجمهور من علماء المُحَدِّثين والفقهاء جواز الرِّواية بالإجازة والعمل بها، وهي أنواع (انظر: السخاوي، 2002م: 1/ 149). وقد أصاب الضِّياءَ منها نصيبٌ وافر، فممن أجازه: حافظ عصره العلامة أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلفي الأَصْبَهاني ت576هـ، (انظر ترجمته في: ابن الأبَّار، 1985م: 48، والذهبي، 1985م: 21/ 5 – 39، والسيوطي، 1967م: 1/ 354)، والعلامة أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بَري بن عبد الجبار المقدسي، ت582هـ، (انظر ترجمته في: الذهبي، 1985م: 21/ 136، والقفطي، 1424هـ: 2/ 110)، وشُهْدَة الكاتبة ابنة أحمد بن الفرج، ت574 (انظر ترجمتها في: ابن الجوزي، 1358هـ: 10/ 288، وابن خلكان، 1994م: 2/ 477). ، وتَجَنِّي بنت عبد الله الوَهْبَانية أم عتب، ت575هـ، (انظر ترجمتها في: الذهبي، 1985م: 20/ 550، وابن الدمياطي، د. ت: 204)، وغيرهم، (وانظر: الصفدي، 2000م: 4/ 49، والنعيمي، 1981م: 2/ 93).

المطلب الخامس: مناقبــه، ومنزلته العلمية وثناء العلماء عليه، ووفاته:

أما مناقبه فهي أكثر من أن تحصيها هذه الأسطر، فكان رحمه الله قد جمع إلى سعة المعرفة وغزارة العلم، الزُّهْدَ والصَّلاح، والإخلاص، وصدقَ العبادة، والرِّفق، والأدب الجَمِّ، مع الحرص الشديد على نَشْرِ السُّنَّة النَّبوية المُطهرة.

وصفه الذَّهبي فقال: « كان يَتَقَنَّعُ باليَسيْر، ويجتهدُ في فعل الخير ونشر السُّنَّة، وفيه تَعَبُّدٌ، وانْجِمَاعٌ عن النَّاس، وكان كثيرَ البرِّ والمُواساة، دائمَ التَّهَجُّد، أَمَّارًا بالمعروف، بَهِيّ المَنْظَر، مَلِيْحَ الشَّيْبَة، محببًا إلى المُوافق والمُخالف، مُشْتَغلاً بنفسه رضي الله عنه. » (الذهبي، 1985م: 23/ 128).

وقال ابن كثير: « كانَ رحمهُ اللهُ في غاية العبادة والزَّهادة والوَرع والخَيْر. » (ابن كثير، 1986م: 13/ 170).

وسيأتي شيء من ذلك أيضًا في المبحث الثاني بإذن الله.

أما منزلته العلمية وثناء العلماء عليه: فبارك الله سبحانه وتعالى في عمر الحافظ الضياء ووقته وعلمه، حتى نال من علم الحديث ما بَوَّأَهُ ليكون شيخَ وقته، وفريدَ عصْره، فَحَفِظَ المُتُونَ، وحاز الفنون، وكان المرجوع إليه في هذا الشأن.

– وصَفَهُ المُنْذِرِيُّ بالحافظ، (المنذري، 1984م: 3/ 110، 404).

– وقال رفيقه الشَّيْخُ، الإمَامُ، المُحَدِّثُ، الحَافِظُ، تَقِيُّ الدِّيْن، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّد الصَّرِيْفِيْنِيُّ: « كان الحافظ الزاهد ضياء الدين المقدسيُّ رفيقي في السفر وصاحبي في الحَضَر، وشاهدت من كثرة فوائده، وكثرة حديثه وتَبَحُّرِهُ فيه. » (ابن رجب الحنبلي، 2005م: 3/ 517).

– وقال الشريف أبو العباس الحُسيني عنه: «حدَّثَ بالكثير مُدَّةً، وخَرَّج تخاريجَ مفيدة، وصنَّفَ تصانيفَ حسنة، وكان أحدَ أئمة هذا الشأن، عارفًا بالرِّجال وأحوالهم، والحديث صحيحه وسقيمه، وَرِعًا مُتَدَيِّنًا، طارحًا للتَّكَلُّف. » (ابن رجب الحنبلي، 2005م: 3/ 517، وابن العماد الحنبلي، 1998م: 5/ 347).

– وأَطْنَبَ الإمام الذهبي في مَدْحه في سائر كُتُبه التي تَرْجَمَ له فيها، فقال في التَّذكرة: «نَسَخَ وصَنَّفَ، وصَحَّحَ وَلَيَّنَ، وجَرَّحَ وعَدَّلَ، وكان المرجوعَ إليه في هذا الشَّأن. » (الذهبي، 1998م: 4/ 133).

وقال أيضًا: سمعت أبا الحجاج المزِّي وما رأيت مثله يقول: « الشيخُ الضِّياء أعلمُ بالحديث والرِّجال من الحافظ عبد الغنيِّ، ولم يكنْ في وقته مثله. » (الصفدي، 2000م: 4/ 49).

– ووصفه ابن رجب الحنبلي بـ « الحافظ الكبير الذي تُغْنِي شُهرتُهُ عن الإطْنَاب في ذكْره، والاشتهار في أَمْره». (ابن رجب الحنبلي، 2005م: 3/ 515).

– وقال السُّيوطي: « رَحَلَ وصنَّفَ وصَحَّحَ وَلَيَّنَ وجَرَّحَ وعَدَّلَ

وكان المَرجوعَ إليه في هذا الشَّأْن، جَبَلاً، ثقةً، دَيِّنًا، زاهدًا ورعًا. » (السيوطي، 1403هـ: 497).

وفاته: ذهب أكثر الذين ترجموا له إلى أن وفاته كانت في جمادى الآخرة، سنة 643هـ. (الذهبي، 1993م: 47/ 214، والصفدي، 2000م: 4/ 49). وعليه فقد عاش أربعًا وسبعين سنة، ودفن في سفح جبل قَاسْيُون بدمشق. رحمه الله.

المطلب السادس: مؤلفاته:

بلغت مؤلفاته أكثر من مئة مؤلف، منها الكبير الذي يبلغ عدة مجلدات، ومنها الوريقات القليلة، ومنها المطبوع الذي انتفع الناس به، ومنها ما يزال حبيس مكتبات المخطوطات، **ومن أشهر كتبه المطبوعة وأعظمها:**

1. كتاب (الأحاديث المختارة)، في تسعين جزءاً ولم يكمل، طبع جزء منه.
2. كتاب (الأحكام)، يعوز قليلاً في نحو عشرين جزءاً في ثلاث مجلدات، وقد نشر تحت عنوان: (السنن والأحكام عن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام).
3. كتاب (فضائل الأعمال) أربعة أجزاء.
4. كتاب (فضائل الشام) وهو ثلاثة أجزاء، طبع منه جزء واحد وهو الجزء المتعلق بفضائل بيت المقدس.
5. كتاب (أفراد الصحيح)، جزء.
6. جزء فيه الرواة عن أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري الحافظ الإمام.
7. كتاب (النهي عن سب الصحابة) جزء.
8. كتاب (الاستدراك على المشايخ النبل لابن عساكر) جزء، أو (أوهام المشايخ النبل)، طبع في هامش (المشايخ النبل) بتحقيق سكينة الشهابي بدمشق.
9. كتاب (الأمر بإتِّباع السُّنن واجتناب البِدَع)، جزء.
10. اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمن.
11. أخبار في مناقب عبد الله بن جعفر ذي الجناحين.
12. كتاب (الأمراض والكفارات والطب والرقيات)، وسمي في بعض المصادر بالطب النبوي.
13. كتاب (مناقب جعفر بن أبي طالب).
14. جزء فيه من حديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ مما وافق رواية الإمام أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله.
15. جزء فيه حديث القلتين.
16. فضائل الشيخ الإمام أبي عمر المقدسي.
17. المنتقى من أخبار الأصمعي.
18. ثَبَتُ السماع.
19. كتاب العِدَّة للكرب والشِّدَّة.
20. كتاب صفة الجنة، ثلاثة أجزاء.
21. كتاب فضائل القرآن العظيم، وثواب مَنْ تَعَلَّمَهُ وعَلَّمَهُ، وما أَعَدَّ الله عز وجلَّ لتالِيْه في الجِنَان.
22. الذَّبُّ عن الإمام الطَّبَراني.
23. النصيحة (نصيحة الملك الأشرف).
24. جزء فيه أحاديث عوالٍ وحكايات وأشعار.
25. جزء فيه ذكر المصافحة وما ورد فيها من الأخبار عن النبي المصطفى المختار صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: أشهر تلاميذ الحافظ ضياء الدين المقدسي ومدى تأثرهم به وشهاداتهم فيه.

ترسم الكلمات القليلة التي يُطْلقها بعض التلاميذ أثناء أحاديثهم صورًا بيِّنَةَ المعالم لشيوخهم، سواء أكانت تلك الأحاديث بقصد الرِّواية أو استحضارًا لبعض الذِّكريات البعيدة، كما تدل دلالةً واضحة على الأَثَر الذي يتركه العلماءُ والمربُّون في نفوس وشخصيات من يَتَلَقَّوْن عنهم. وهي من أبرز دلائل التوفيق وعلامات النَّجاح التي يمكن أنْ تُشَكِّل شهادة حقٍّ للعلماء.

ومن المعلوم أنَّ أكثرَ من يتأثر بالعالم تلاميذه، بل رُبَّما كان تأثيره فيهم أشدَ من تأثيره في أولاده وذَوِيه، فإنْ أَثْنَوا عليه بخير فهو كما قالوا، وإنْ ذكروه بسُوءٍ فبئسَ الشيخ وبئسَ ما قيل فيه. فخيار الناس وثقاتهم وصالحوهم كما قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم للمسلمين: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْه خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْه شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله في الْأَرْض، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله في الْأَرْض، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله في الْأَرْض». (البخاري، 1422هـ: برقم 1367، في كتاب الجنائز – باب ثناء الناس على الميت2/ 97، ومسلم، 1997م: برقم 949، في كتاب الجنائز– باب فيمن يثنى عليه خير أو شر2/ 81 – 82، واللفظ لمسلم).

فهم الميزان الدقيق، والحَكَمُ العَدْل، هذا في الغالب الكثير، لا في القليل النادر. وميزان التلاميذ أَدَقُّ وأصوبُ من ميزان الأَقْرَان لما يعتري علاقة الأقران من التنافس والتَّغَيُّظ. فإذا اجتمع للعالم ثناء شيوخه وأقرانه وتلاميذه عليه فتلك هي عاجل بُشْرى المؤمن التي حدَّث عنها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلَّم، فعَنْ أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: « يَا رَسُولَ الله، الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْه، وَيُثْنُونَ عَلَيْه بِه؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِن. » (مسلم، 1997م: برقم2642، كتاب البر والصلة والآداب – باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره 4/ 338 – 339.).

ولما كان جُهْدُ العالم وعلْمُه يظهر أكثر ما يظهر في تلاميذه، حتى يكون بعضهم أَشْبَهَ النَّاس به، لا في الخِلْقَة والمنظر، وإنما في السَّمْت والهَدْي والمنطق والحَرَكة، فما التلميذ إلا ثمرة شيخه ووعاء علْمه، يُخَبِّئُ فيه ما حملته ذاكرته طوال سنوات حياته. لذلك رأيت من اللازم أنْ أتكلم عن بعض أعيان تلاميذ الحافظ الضِّياء المقدسيِّ، فما نَجَاحُهم وتَقَدُّمهم على أهل زمانهم وأقرانهم إلا دليل جودة العطاء، وحسن البناء، وتلك التربية الناجحة التي تَلَقَّوها من شيخهم، وذاك الأثر البديع الذي تركه الحافظ فيهم، ثم هم بعد ذلك دليل نجاحه وإبداعه.

والتربية والإعداد وتزكية الأنفس بالعلم والأخلاق هي – والله – وظيفة الأنبياء والمرسلين من قبل، وهي أشرفُ وأَجَلُّ وظيفة، كما

قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

« أَعَلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي يَبْنِي ويُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولا. » (شوقي، 2015م: 1/ 141).

ثم شتَّان بين من يبني القُصُورَ ومن يبني العقول، شتَّان شتَّان – مع اعترافنا بفضل كُلِّ بَانٍ–، كما قال الشاعر:

« يَبْنِي الرِّجَالَ وغَيْرُهُ يَبْنِي القُرَى شَتَّانَ بَيْنَ قرًى وبَيْنَ رِجَالِ. » (الآبي، 2004م: 3/ 78، وابن حمدون، 1417هـ: 2/ 48، ونسبه ابن حمدون إلى أبي عبد الرحمن الأعمى).

وإذا كان بعض الناس تُعْجبُه صناعة التأليف ووَضْعُ الكُتُب، فأعلى من ذلك رُتْبَةً مَنْ أَتقنَ الصِّناعتين معًا، صناعةَ التأليف وصناعةَ الرِّجال، وهذه أشدُّ وأَعْجب. وأَحْسَبُ أنَّ الحافظ الضِّياء رحمه الله من هذه الفئة، فقد مَهَرَ في وضع المؤلفات كما بَرَعَ في تخريج أعيان العلماء.

ومع كثرة المُتَلَقِّيْنَ عنه إلا أنني– ولمناسبة البحث – سأقتصر على ذكر بعض من أشهر علماء الحديث الذين حفظ لنا التاريخ تاريخهم، وصَبَّغُوا بِمدادهم حُرُوف الزَّمان، فاستجاب لهم، وأَبَى أنْ يُنكرَ فَضْلَهم، ويَطْوِيَ علمَهم، ودَانَ لهم، فحفظَ أسماءَهم، وآثارَهم، وذَكَر فضلهم في خدمة سُنَّة المصطفى صلى الله عليه وسلم. وكلُّهم للإمام الضِّياء ينتسب، وبالتلمذة والتلقي عنه يَتَشَرَّفُ ويَعْتَرِف.

وقد اشتمل هذا المبحث على خمسة مطالب، في كل مطلب تلميذ من أعيان تلاميذ الحافظ الضياء، غير المطلب الخامس فقد ضمنته جملة من الأقوال المميزة المختصرة لتلاميذ آخرين من تلاميذ الضياء:

◄ المطلب الأول: الإمام، الحافظ، محدِّث العراق، أبو عبد الله، محمد بن محمود البغدادي، المعروف بابن النَّجار، ت643هـ. (انظر ترجمته في: الحموي، 1993م: 6/ 2644، والذهبي، 1985م: 23/ 131 – 134، والسبكي، 1413هـ: 8/ 98 – 99).

وصفه الذهبي في السِّيَر بـ « الإمام الحافظ البارع محدث العراق ومؤرخ العصر. » (الذهبي، 1985م: 23/ 131). وقال عنه في تاريخ الإسلام: « كان إمامًا، ثقةً، حُجَّةً، مُقْرِئًا، مجوِّدًا، حُلْو المحَاجَّة، كيِّسًا، متواضعًا، ظريفًا، صالحًا، خيِّرًا، متنسِّكًا. » (الذهبي، 1993م: 47/ 218). وقد « اشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ وأربعمائة امرأة. » (الذهبي، 1985م: 23/ 133).

وكان من أبرز شيوخه الحافظ الضِّياء، وهو من صغار شيوخه، فالضِّياء أكبر منه بتسع سنين، لكنَّ تأثره به كان بيِّنًا، فقد أعرب عنه فيما خطه بيده إذ قال عنه: « كَتَبَ وحَصَّلَ الأُصُول، وسمعنا بقراءته الكثير، وأقام بهَرَاة ومَرْو مدّة، وكتب الكُتُبَ الكبار بهمَّة عالية وجِدٍّ واجتهاد، وتحقيق وإتقان، كتبتُ عَنْهُ ببغداد، ودمشق، وبَنْيسابور، وهو حافظٌ متقنٌ، ثَبْتٌ حُجَّةٌ، عالمٌ بالحديث والرِّجال، ورِعٌ تَقِيٌّ، زاهدٌ، عابدٌ، محتاطٌ في أكل الحلال، مجاهدٌ في سبيل الله. ولَعَمْري ما رَأَتْ عيناي مثله في نزاهته وعفَّته، وحُسْنِ طريقته في طلب العِلم. » (الذهبي، 1993م: 47/ 211).

وهذا قول عجيب صادرٌ عن رجل طوَّفَ البلاد وجاب الأقطار وسمع العلماء والمُحَدِّثين، وروى عمن دَبَّ ودَرَجَ، ولو أنَّه قَصَرَ علْمَهُ على ما أخذه عن شيخاته الأربعمائة لكان كثيرًا، فكيف وقد أخذ عن ثلاثة آلاف شيخ أيضًا.

ثم هو مع كثرة مشاهداته ولقاءاته ومعرفته بالعلماء يقول في شيخه الحافظ الضِّياء مقالته الفريدة تلك. التي ينبه فيها إلى أكثر ما راقه وأعجبه في شيخه الضياء ومن ذلك: نزاهته، وعفته، وترفعه عن الدنيا وسَفْسَافها من الأمور الهزيلة والحقيرة، وكأنه يصفه بالكرامة وعِزَّة النَّفس وصونها عن كل ما يخدشُها أو يَشِيْنُها.

ولا شك في أنَّ الصِّفات الرائقة التي رأى ابن النجار شيخه الضياء عليها – وقد صحبه في بعض رحلاته–، وتلك النزاهة التي تمتع بها الشيخ سواء أكانت في مطعمه وملبسه، أو علمه وتعليمه، أو كسبه وارتزاقه، أو في ترفعه عن مجالسة الظالمين والحقراء، ألزمت التلميذ على اتخاذ شيخه قدوة له في جميع الجوانب المُشْرقة التي أشار إليها فيما تقدم من كلمات رائعة.

ثم إنَّ ابن النجار لم يُخْفِ إعجابه بطريقة شيخه في طلب العلم، وارتحاله فيه سنوات عديدة، وكيف كان يتتبع حلقات العلم ومجالس الشيوخ، ويكتب ما يسمع من أحاديث ومرويات، ويُدوِّن ما يلقى إليه من فوائد، ويصنف الكتب وهو لم يزل بعد في مرحلة الطلب. وكيف كان ينَظِّم وقته بين القراءة والكتابة والعبادة وفعل الخيرات، حتى أنه لا ينفق شيئًا من وقته في غير فائدة. . . إلى غير ذلك من أمور الدَّرْس وطلب العلم، مما أَثَّرَ في نفس وقلب ابن النجار فاعتبر طريقته هي المُثْلى في طلب العلم فانتهجها، الأمر الذي مَكَّنَهُ من السماع من هذا العدد الكبير، وكان من تصانيفه تلك المصنفات الفريدة، ومن أهمها: (القمر المنير في المسند الكبير)، و (كنز الإمام في السُّنن والأحكام)، كما عمل تاريخًا حافلاً لمدينة بغداد، ذيَّل به واستدرك على الخطيب البغدادي، وقد قال الذهبي عن تاريخه هذا: « وهو في مائتي جزء يُنْبِئُ بحفظه ومعرفته». (الذهبي، 1985م: 23/ 132).

◄ المطلب الثاني: المحدث البارع مفيد الطلبة، أبو الفتح عز الدين عمر بن محمد بن منصور الأَمِيْنِي، الدمشقي، الجُنْدِيُّ، المعروف بابن الحاجب. (انظر ترجمته في: المنذري، 1984م: 3/ 346)، والذهبي، 1985م: 22/ 370 – 371، والذهبي، 1993م: 45/ 399). سمع من هبة الله ابن طاووس، والموفق، والفتح بن عبد السلام، وعدّة. وسمع منه شيخه إبراهيم الصِّريفيني، وابن الصَّابوني، وخلائق.

« كان مِنْ أَذْكِيَاء الطَّلَبَة، وَأَشَدِّهم عِنَايَةً، كَتَبَ الكَثِيْرَ، وَصَنَّفَ، وتوفي وَلَمَّا يَبْلُغ الأَرْبَعِيْنَ من العمر، وعمل معجم البقاع والبلدان التي سمع بها، ومعجم شيوخه وهم ألف ومائة وبضعة وثمانون نفسًا». (الذهبي، 1993م: 45/ 400).

كتب عنه شيخه الضياء وأثنى عليه فقال: « وَفِي شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلاَثِيْنَ وَستِّ مائَة تُوُفِّيَ صَاحِبُنَا الشَّابُّ الحَافِظُ ابْنُ الحَاجِب. . . وكَانَ دَيِّنًا، خيِّرًا، ثَبتًا، متيقظًا، قد فَهِمَ وجَمَعَ. » (الذهبي، 1985م: 22/ 371).

أما هو فمع كثرة شيوخه الذين أخذ عنهم إلا أنَّ كلامه عن شيخه الضِّياء مُضَمَّخٌ بعطر المودة والاعتراف بالجميل، والإقرار بالعظمة ونُبل الأوصاف، ولو أني أوردت كلامه فيه دون تعليق لكفى، ففي كلامه ما يدلل على مدى تأثر هذا العالم الفتيِّ بشيخه الجليل، لا في الأخلاق فحسب، بل في العلم أيضًا، وقوله فيه أنه كان

من العلماء الربانيين أكبر غناء عن أي وصف آخر، فكيف وقد سكب له سلاسل الذهب من الأقوال التي يدل واحدها على توثيقه، وجمع له الأخلاق في بَوْتَقَة العلم والتُّقوى، فقال فيه رحمه الله: « شيخنا أَبُو عَبْد الله، شيخُ وقته، ونَسيْجُ وحْده، علمًا وحفْظًا وثقةً ودِيْنًا، من العُلماء الربّانيّين، وهو أكبر من أَنَ يَذُلَّ عَلَيْه مثلي. كَانَ شديد التَّحرّي في الرّواية، ثقةً فيما يرويه، مجتهدًا في العبادة، كثيرَ الذِّكْر، منقطعًا عَن النّاس، متواضعًا في ذات الله، صَحيح الأُصُول، سهلَ العارية، ولقد سَألت عَنْهُ في رحَلتي جماعةً من العارفين بأحوال الرجال، فأَطْنَبوا في حقّه وَمدحُوه بالحفْظ والزُّهْد، حتّى إنّه لو تكلَّم في الْجَرْح والتّعديلَ لقُبِلَ منه. » (الذهبي، 1993م: 47/ 211).

وهو لا يكتفي للتدليل على عظمة شيخه بما علمه عنه ورآه فيه، بل ينقل حديث أهل العلم والخبرة والدراية بأحوال الرجال، وثنائهم عليه، بل والإطناب في ذكر فضائله وخصاله، مع مدحه في جانبي شخصيته وهما: الحفظ والزهد، فقد كان آية في الحفظ والعلم، منقطع النظير متقدمًا على أقرانه، له قدم راسخة في العلم، خاصة علم الحديث. أما الزهد فقد كان شعاره ودثاره، لا بالقول والوعظ، وإنما بالفعل والقدوة الحسنة، وهو ما وصفه به سائر من تكلم عنه، فتلك صفة فيه هي أظهر من أن تخفى، لملابستها له واتصافه بها.

أما قوله أنه لو تكلم في الجرح والتعديل لقبل منه، فقد تكلم الحافظ الضياء في الجرح والتعديل فقبل العلماء قوله، واستندوا إليه واعتمدوه، ولا أدل على ذلك من قبولهم تصحيحه لأحاديث لم يسبق إلى تصحيحها، كما فعل في كتابه الأحاديث المختارة.

◄ المطلب الثالث: المحدّثُ، المفيدُ، الشَّابُّ، الزَّكيُّ، مُحَمَّد بْن الْحَسَن بْن سالم بن سلاَّم، أبو عبدالله، الدمشقي. (انظر ترجمته في: المنذري، 1984م: 3/ 335 – 336، والذهبي، 1993م: 45/ 407، والذهبي، 1984م: 5/ 122). ولد سنة (609هـ)، وسَمِعَ الكثير من: داود بن مُلاعب، وأبي مُحَمَّد بْن البُنّ، وأبي القاسم ابْن صَصريّ، وطائفة كبيرة.

عُنيَ بالحديث أتمّ عناية، ونسخ، وحصَّلَ، وخرَّج، وكان ذكيًا، نبيهًا، لَهُ حفظ وإتقان، وفيه دِيَانة وافرةٌ وصلاحٌ على صِغره.

أثنى عليه ابن الحاجب فقال: « حفظ علوم الحديث لأبي عبد الله الحاكم. وكان قد حجّ، وزار البيت المُقدّس، وقدم مريضًا، فتوفّي إلى رحمة الله في الرّابع والعشرين من صفر سنة (630هـ). وفُجِعَ به والده وأصحَابه».

لم يُعَمِّر طويلاً، ولم يَعْرف الدنيا غير إحدى وعشرين سنة، لكنه كان فيها على خير حال، من طلب للعلم وأداء للعبادة، فلا غَرْو أنْ نجد شبهًا كبيرًا بين كلامه عن شيخه الضياء وحقيقة حاله التي كان عليها، الأمر الذي يُفيد طولَ الصُّحبة وشدةَ التأثر، وهذا الإمام الذهبي يقف على بعض ما خَطَّه ابن سلاَّم في شيخه في بعض الصفحات التي خلَّفها وراءه، ثم أصبحت وقفًا في مكتبة الحافظ الضِّياء. (قال الذهبي، 1993م: 47/ 213:

«وأجزاؤه موقوفة بالضّيائية، وعُدِمَ أكثرها في نوبة غازان»، وينقل بعض العبارات التي تُبيِّن عمقَ العَلاقة التي كانت بين الشيخ وتلميذه، وذاك الإعجاب والحُبُّ الذي كان يحمله ذاك الفتى لأستاذه، فيقول: «مُحَمَّد بْن عَبْد الواحد شيخنا، ما رَأَيْت مثله في ما اجتمع لَهُ. كَانَ مقدَّمًا في علم الحديث، فكأنّ هذا العلم قد انتهى إلَيْه وسلَّم لَهُ. ونظر في الفِقْه وناظَرَ فيه، وجمع بين فقه الحديث ومعانيه. وشدّ طرفًا من الأدب وكثيرًا من اللّغة والتّفسير. وكان يحفظ القرآنَ واشتغل مُدّةً به، وقرأ بالرِّوايات عَلَى مشايخ عديدة، وكان يتلوه تلاوةَ عذْبةً. وجَمَعَ كلَّ هذا مَعَ الورع التّامِّ والتّقشُّف الزَّائد، والتّعفُّف والقناعة والمروءة والعبادة الكثيرة، وطَلْق النَّفْس، وتجنّبها أحوال الدّنيا ورُعُوناتها. والرِّفق بالغُرباء والطُّلاب، والانقطاع عَن النّاس، وطول الروح على الفقير والغريب. وكان محبًّا لمن يأخذ عنه، مكرمًا لمن يسمع عليه. وكان يحرّض على الاشتغال، ويعاون بإعارة الكتب. وكنت أسأله عَن المشكلات فيجيبني أجوبة شافية عَجَزَ عَنْهَا المتقدّمون، ولم يدرك شَأْوها المتأخّرون. قرأتُ عَلَيْه الكثير، وما أفادني أحدٌ كإفادته. وكان ينبّهني عَلَى المهمّات من العوالي، ويأمرني بسماعها، ويُكْرمني كثيرًا وقرأت عَلَيْه «صحيح مُسْلم». كانت لَهُ أَرْيْضَة بباب الجامع ورثها من أبيه، وكان يبني فيها قليلاً قليلاً عَلَى قدر طاقته، فيُسّر بنا كثيرًا عَنْهَا بهمّته وحُسْن قصده وإجابة دعوته، ونزل فيها المشتغلون بالفقه والحديث، وكان ما يصل إلَيْه من وقف يوصله إليهم ويصرفه عليهم. ورَامَ بعضُ الكبار مساعدتَه ببناء مصنّع للماء فأبى ذَلكَ وقال: لا حاجة لنا في ماله. وكان من صغره إلى كبره موصوفا بالنُّسك، مشتغلا بالعلم. » (الذهبي، 1993م: 47/ 213 – 214).

فهذه شهادة جامعة للحافظ الضياء من تلميذه الشاب الذي يراه بعيني قلبه وعقله قامَةً سامِقَةً لا تُدانيها قامة أخرى من القامات العملاقة التي كانت تَعُجُّ بهم دمشق يوم ذاك.

ولو أننا دققنا النظر في كلماته النيرة البديعة لاستطعنا من خلالها رسم الصورة الأخلاقية التي كان يتمتع بها الضياء في تعامله مع طلابه، والمثال الذي يمكن أن يُحتذى في التعليم والصبر على الطلاب، وبذل أقصى ما يمكن لهم من العلم والجهد، بل والمال.

◄ المطلب الرابع: تقي الدين، أبو الفضل، قاضي القضاة، سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي (ت 715هـ).

الإمام الحافظ المسند الرحالة، قال عنه البرزالي: « كان شيخًا جليلاً فقيهًا كبيرًا، بهيَّ المنظر، وضيءَ الشَّيْبَة، حسنَ الشَّكل، مواظبًا على حضور الجماعات وعلى قيام الليل والتلاوة والصيام، له أورادٌ وعبادة، عارفا بالفقه، وله حلقة بالجامع المظفري، وكان يذكر الدرس ذكرًا حسنا متقنا، وكان قويَّ النفس ليِّنَ الجانب، حسن الخُلُق متودّدًا على الناس، حريصًا على النفع وقضاء الحوائج. » (انظر ترجمته في: ابن رجب الحنبلي، 2005م: 2/ 365).

لزم هذا التلميذُ النبيه شيخه الحافظَ الضياء طوال المدة التي أدركه فيها، وقد ساعده وأتاح له هذه الملازمة التامة الطويلة أمران: فكلاهما دمشقي صالحي، وكلاهما يتصلان ببعضهما بنوع من القرابة، فجد سليمان الأعلى هو جد الضياء المباشر لأمه الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة، وجد سليمان المباشر هو ابن خال الضياء، وهذه العلاقة القريبة والجميلة بين أفراد الأسرة الطيبة، مع حب الضياء لطلبة العلم وبذله نفسه لهم، أتاح لسليمان تلك الملازمة التي لم يحظ بها غيره.

وعلى الرغم من أنه لم يعاصره غير خمس عشرة سنة – إذ ولد سليمان سنة 628هـ–، وكانت وفاة الضياء سنة 643هـ–، منها سنوات طفولته الأولى التي يغلب عليها ما عليه الأطفال من لعب ولهو، إلا أنَّه أخذ عن الضياء كثيرًا، مما لا يُتخيل مثله، ممن هو في مثل سنه، وقد قال عن نفسه وما أخذه من المرويات والمسموعات من الضياء: « سمعت منه نحو ألف جزء. » (الذهبي، 1993م: 47/ 213). وذاك ميراث عظيم، وقدر كبير من العلم، لو أنه لم يأخذ غيره من غيره لكفاه، **وهذا النص القصير جدا يكشف عن عدة أمور في شخصية الشيخ وشخصية التلميذ، منها:**

- شدة التصاق التلميذ سليمان بن حمزة بشيخه الضياء، والتزامه له، ومصاحبته إياه، حتى تمكن من أخذ هذا الكم الكبير من المرويات عنه، وهو لم يأخذها كُتُبا بالإجازة، بل صرح بسماعه لها.
- تلك القدرة على التلقي والجَلَدِ في طلب العلم عند سليمان في ذاك العمر المبكر والقليل.
- الاهتمام بطلب العلم في السن المبكرة، ولو أنه تأخر في الطلب لما تمكن من أخذ هذا القدر من المسموعات.
- عناية الضياء الشديدة بالفتيان، وطول الصبر عليهم، ومنحهم الوقت والعلم، فعمر سليمان لم يكن يوم وفاة الضياء يتجاوز خمس عشرة سنة.
- عطاء الضياء وعدم تقتيره على طلبة العلم، فقد كان يذهب في العلم إلى نهايته، ويعطي فيه عطاء من يحب أن يكون علمه عند غيره ممن يستحق أن يحمله.

وقد أثمر فعله هذا مع سليمان، فكان سليمان أكثر من روى عن الضياء، وحفظ مصنفاته، ثم أخذ منه الآخذون، ونقل عنه الناقلون علم الضياء وكتبه، فكان بحق حلقة الوصل بين جيلين عظيمين جيل الضياء وجيل تلاميذ سليمان.

◄ المطلب الخامس: كانت المطالب الأربعة المتقدمة متميزة في مضامينها، وأضيف هنا أيضًا – بدون تعليق – جملة مختصرة من الأقوال في الثناء على الحافظ الضياء لثلة من تلاميذه الآخرين، تصبُّ في بحر فضائله، وتفيد ما أفادته الأقوال السابقة، وتزيدها قوةً لتَرْقى إلى مرتبة تفيد الجزمَ بأنَّ الحافظ الضياء كان عالمًا متميزًا مؤثرًا، له شخصيته العلمية الخاصة، وله منهجه التربوي الفريد.

قَالَ عُمَرُ بنُ الحَاجِبِ: « سَأَلتُ زَكِيَّ الدِّيْنِ البِرْزَالِيَّ عَنْ شَيْخِنَا الضِّيَاء، فقَالَ: حَافِظٌ ثِقَةٌ، جَبَلٌ دَيِّنٌ، خَيِّرٌ. » (الذهبي، 1993م: 47/ 211).

وقالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّيْنِ عَبْد الرَّحْمَنِ بن العِزِّ: « مَا جَاءَ بَعْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ مِثْل شَيْخِنَا الضِّيَاء. » (الذهبي، 1985م: 23/ 128).

وقال الحافظ الأديب شرف الدين أَبُو المظفَّر يوسف بن الحسن بن مفرج النّابلسيّ، الدمشقي: « ما رَأَيْت مثل شيخنا الضّياء. » (الذهبي، 1993م: 47/ 212).

وَقَالَ الحَافِظُ شَرَفُ الدِّيْنِ يُوْسُفُ بنُ بَدْرٍ: « رَحِمَ اللهُ شَيْخَنَا ابْنَ عَبْد الوَاحِد، كَانَ عَظِيْمَ الشَّأْنِ في الحِفْظِ وَمَعْرِفَةِ الرِّجَال، هُوَ كَانَ المُشَارَ إِلَيْهِ فِي عِلْمِ صَحِيْحِ الحَدِيْثِ وَسَقِيْمِه، مَا رَأَتْ عَيْنِي مِثْلَهُ. » (الذهبي، 1985م: 23/ 128 – 129).

وقال عنه تلميذه محمد بن سليمان البغدادي: «شيخنا، وسيدنا، الإمام، العالم العامل، الحافظ الأوحد، ضياء الدين، صدر الحفاظ، . . . . أبقاه الله. » (ضياء الدين المقدسي، 2008م: 4/ 452).

وقال تلميذه سيف الدين بن المجد: « شيخنا، الإمام العالم، الحافظ، الناقد، عمدة النقلة. » (ابن عبد الهادي، 1996: 4/ 189).

ثم إنَّ طلابه وتلاميذه ومن أخذ عنه وتأدب بأدبه ونهل من علمه واقتفى أثره أكثر من أن يُعَدُّوا.

النتائج

وأخيرًا فهذه جملة من النتائج أجعلها خاتمة بحثي، التَقَطْتُها من بين ثناياه، ورجوت ربي أن ينفع بها، وأهمها:

1. إنَّ مرحلة طلب العلم التي ابتدأها الحافظ الضياء يوم كان صبيًا، لم تنته إلا بانقضاء الأجل، كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: « مع المحبرة إلى المقبرة». (هرماس، 2014: 13)، وقد ثبت أنه بقي في التأليف حتى مماته، فقد ذكر الذهبي في ترجمة شرف الدين أبي محمد عبدالله بن الشيخ أبي عمر (ت643هـ) أنَّ الضياء أَرَّخَ وفاته في العشرين من جمادى الآخرة، ثم مات بعده بأسبوع. (انظر الذهبي، 1993: 47/ 172)، وهذا هو المسلك السَّوي والمنهج القويم لكل من أراد أن يكون عالمًا بحق.

2. هذا العدد الوفير من الشيوخ الذين أخذ عنهم الحافظ الضياء، والذين بلغ عددهم أكثر من خمسمائة، يدل دلالة واضحة على ما قدمته في النتيجة الأولى، وعلى الرحلة الواسعة التي كانت يومها من لازم طالب العلم عند الغالبية العظمى منهم.

3. تلك البركة في العمر والجهد، التي أكرم الله بها بعض العلماء، فأنجزوا بجهدهم الفردي في السنوات القليلة أعمالا موسوعية لو اجتمع عليها الفئام من الناس ما أنجزوها، فمؤلفات الحافظ الضياء قد زادت على المائة، ولولا أنَّ الله بارك له في وقته وجهده لما أنجز واحدًا منها، ولو أنَّ أحد أبناء هذا العصر أنجز مؤلفًا واحدًا في مثل كتاب الأحاديث المختارة، لعُدَّ من الأفذاذ وأعيان العلماء، فكيف استطاع أن ينجزها كلها؟؟ إنه التوفيق الرباني، والبركة الإلهية.

4. الهمة الموسوعية التي وجدت عند سلفنا الصالح، والتي تجلت بوضوح عند الحافظ ضياء الدين المقدسي في أعماله الكثيرة، ومؤلفاته الكبيرة، مع التنوع والاختلاف في الموضوعات، من حديث، وتاريخ، وفقه، وتراجم، وإن كان الغالب هو الحديث الشريف.

5. عدم الانفكاك بين طلب العلم والعمل به، وما فائدة العلم إن لم يتبعه العمل، والجمع بين الأمرين متمثل في أبهى صوره في الحافظ الضياء الذي طلب العلم طوال عمره، وعمل به في خاصة نفسه، ثم نشره بين الناس من خلال الإقراء والتدريس، سواء أكان في المساجد أو في مدرسته الضيائية المحمدية الخاصة المجانية.

6. من خلال تصفح سير تلاميذ الحافظ الضياء، والوقوف على أقوالهم فيه، يدرك المرء أنه كان أستاذًا ناجحًا وعالمًا مربيًا، جمع بين العلم والتربية في صورة موفقة فريدة رائعة. يؤيد ذلك ويؤكده تلك النخبة من الطلبة الذين تخرجوا عليه، ثم كانوا أعيان الزمان.

توصيات

في ضوء ما تقدم من عرض تحليلي لشخصية الحافظ الضياء المقدسي، في ضوء النصوص الواردة على ألسنة تلاميذه، فإن الباحث يوصي بما هو آت:

1. يجب أن يذهب جزء من اهتمام الباحثين خاصة في فلسطين اليوم إلى التعريف بالعلماء السابقين من أهلها أو المنتمين إليها، فهذا جزء من التاريخ الذي يجب أن يعرفه جيل الحاضر.
2. وعلى الجامعات الفلسطينية أنْ تحثَّ الباحثين على هذا النوع من الدراسات التي يجهلها كثير من العلماء فضلاً عن العامة، كما أنَّ عليها أن تتولى طباعة أبحاثهم ونشرها.
3. كما يلزم العناية بمخطوطات هؤلاء العلماء التي لم تر النور، ومحاولة جمعها من أقطار العالم، من خلال إنشاء مراكز المخطوطات في الجامعات. والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. الآبي، منصور بن الحسين الرازي (ت 421هـ) – نثر الدر في المحاضرات – تحقيق خالد محفوظ – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – ط الأولى – 2004م) ج 3.
2. الأوزبكي، يوسف بن محمد مروان بن سليمان المقدسي – تاريخ المذهب الحنبلي في فلسطين – (عمان/ الأردن – الدار الأثرية – د. ط – 2010م).
3. ابن الأبار، محمد بن عبدالله القضاعي (ت 658هـ) – المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي رضي الله عنه – تحقيق – (بيروت/ لبنان – دار صادر – د. ط – 1985م).
4. البخاري، محمد بن إسماعيل (256هـ) – الجامع المسند الصحيح = صحيح البخاري – محمد زهير الناصر – (بيروت/ لبنان – طوق النجاة – ط الأولى – 1422ه) ج 2.
5. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت597هـ) – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم – (بيروت/ لبنان – دار صادر – ط الأولى – 1358هـ) ج10.
6. الحافظ، محمد مطيع – التنويه والتبيين في سيرة محدث الشام الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الصَّالحي الحنبلي المتوفى: 643هـ – (بيروت/ لبنان – دار البشائر الإسلامية – ط الأولى – 1999م).
7. الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي (ت626هـ) – معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب – تحقيق إحسان عباس – (بيروت/ لبنان – دار الغرب الإسلامي – ط الأولى – 1993م) ج6.
8. الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي (ت626هـ) – معجم البلدان – (بيروت/ لبنان – دار صادر – ط الثانية – 1995م) ج 2.
9. ابن حمدون، محمد بن الحسن البغدادي (ت562هـ) – التذكرة الحمدونية – (بيروت/ لبنان – دار صار – ط الأولى – 1417هـ) ج 2.
10. ابن خَلِّكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 681هـ) – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – تحقيق إحسان عباس – (بيروت/ لبنان – دار صادر – د. ط – 1994م) ج 2، 3.
11. ابن الدمياطي، أحمد بن أيبك الحسامي (ت749هـ) – المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار – تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – د. ط – د. ت).
12. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) – تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام – تحقيق عمر عبد السلام تدمري – (بيروت/ لبنان – دار الكتاب العربي – ط الثانية – 1993م) ج 38، 41، 44، 45، 46، 47.
13. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) – تذكرة الحفاظ – تحقيق زكريا عميرات – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – ط الأولى – 1998م) ج 4.
14. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) – سير أعلام النبلاء – تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط – (بيروت/ لبنان – مؤسسة الرسالة – ط الأولى – 1985م) ج 20، 21، 22، 23.
15. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) – العبر في خبر من غبر – تحقيق صلاح الدين المنجد – (الكويت/ دولة الكويت – مطبعة حكومة الكويت – د. ط – 1984م) ج 5.
16. ابن رجب الحنبلي، عبدالرحمن بن أحمد (ت 795هـ) – ذيل طبقات الحنابلة – تحقيق عبدالرحمن بن سليمان العثيمين – (الرياض/ السعودية – مكتبة العبيكان – د. ط – 2005م) ج 1، 2، 3.
17. أبو زيد، بكر بن عبدالله (ت1429هـ) – المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب – (جدة/ السعودية – دار العاصمة – مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجده – ط الأولى – 1417هـ) ج 1.
18. السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين (ت771هـ) – طبقات الشافعية الكبرى – تحقيق محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو – (ب. ب. ن. هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ط الأولى – 1413هـ) ج 8.
19. السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت902هـ) – الغاية في شرح الهداية في علم الرواية – تحقيق محمد سيدي محمد الأمين – (المدينة المنورة/ السعودية – مكتبة العلوم والحكم – ط الثانية – 2002م) ج 1.
20. السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت902هـ) – فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي – تحقيق علي حسين علي – (مصر – مكتبة السنة – ط الأولى – 2003م) ج 2.
21. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911هـ) – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – (صيدا/ لبنان – المكتبة العصرية – د. ط – د. ت) ج 2.
22. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911هـ) – حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – (القاهرة/ مصر – دار إحياء الكتب العربية – ط الأولى – 1967م) ج 1.
23. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911هـ) – طبقات الحفاظ – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – ط الأولى – 1403هـ).
24. شوقي، أحمد (ت1932م) – الشوقيات – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – ط الرابعة – 2015م) ج 1.
25. ابن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد الملقب بصلاح الدين (ت 764هـ) – فوات الوفيات – تحقيق إحسان عباس – (بيروت/ لبنان – دار صادر – ط الأولى – 1973 – 1974م) ج 3.
26. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ) – الوافي بالوفيات –

تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى – (بيروت/ لبنان – دار إحياء التراث – د. ط – 2000م) ج 4، 6، 8.

27. ضياء الدين المقدسي، محمد بن عبدالواحد (ت643هـ) – الأحاديث المختارة – تحقيق عبدالملك بن دهيش – (مكة المكرمة/ السعودية – مكتبة الأسدي – ط الخامسة – 2008م) ج 4.

28. ضياء الدين المقدسي، محمد بن عبدالواحد (ت643هـ) – مناقب الشيخ أبو عمر المقدسي – تحقيق عبدالله الكندري – (بيروت/ لبنان – دار ابن حزم – ط الأولى – 1997م).

29. ابن طولون، محمد بن علي الصالحي (ت953هـ) – القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية – تحقيق محمد أحمد دهمان – (سوريا – من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ط الثانية – 1980م) ج 1.

30. ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد الصالحي (ت744هـ) – طبقات علماء الحديث – تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق – (بيروت/ لبنان – مؤسسة الرسالة – ط الثانية – 1996م) ج 4.

31. ابن العماد الحنبلي، عبدالحي بن أحمد بن محمد (ت1089هـ) – شذرات الذهب في أخبار من ذهب – تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – ط الأولى – 1998م) ج 5.

32. القفطي، علي بن يوسف (ت646هـ) – إنباه الرواة على أنباه النحاة – (بيروت/ لبنان – المكتبة العصرية – ط الأولى – 1424ه) ج 2.

33. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت774هـ) –البداية والنهاية – (بيروت/ لبنان – دار الفكر – د. ط – 1986م) ج 13.

34. مسلم، مسلم بن الحجاج (ت261هـ) – صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – (القاهرة/ مصر – دار الحديث – ط الأولى – 1997م) ج 4.

35. المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي (ت656هـ) – التكملة لوفيات النقلة – تحقيق بشار عواد – (بيروت/ لبنان – مؤسسة الرسالة – ط الثالثة – 1984م) ج 2، 3.

36. ابن مفلح، إبراهيم بن محمد (ت884هـ) – المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد – تحقيق عبدالرحمن العثيمين – (الرياض/ السعودية – مكتبة الرشد – ط الأولى – 1990م) ج1.

37. نجار، حسناء بكري أحمد – الضياء المقدسي وجهوده في علم الحديث – رسالة دكتوراه – مقدمة إلى جامعة أم القرى – (مكة المكرمة/ السعودية – سنة 1420هـ).

38. النعيمي، عبدالقادر بن محمد (ت 927هـ) – الدارس في تاريخ المدارس – تحقيق جعفر الحسني – (بيروت/ لبنان – دار الكتاب الجديد – ط الأولى – 1981م) ج 2.

39. ابن نقطة، محمد بن عبدالغني بن أبي بكر الحنبلي البغدادي (ت629هـ) – التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد – تحقيق كمال الحوت – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – ط الأولى – 1988م).

40. هرماس، غسان عيسى محمد – مختصر مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي – (بيت لحم/ فلسطين – دار الطيب للطباعة والنشر – ط الثانية – 2014م).

41. اليافعي، عبدالله بن أسعد بن علي (ت 768هـ) – مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان – تحقيق خليل المنصور – (بيروت/ لبنان – دار الكتب العلمية – ط الأولى – 1997م) ج 3.